الباب الخامس

الإرهاب سلاح خطير ضد البشرية كلها

obeikandl.com

obeikandl.com

الإرهاب سلاح خطير ضد البشرية كلها

لا حياة مع الإرهاب ولا إرهاب مع الحياة ، من خاف لم يفكر ولم يبدع و لم يزرع ولم يصنع ، لم ينم إلا على خوف ولم يستيقظ إلا على رعب ، فلا طعم للحياة عند الخائفين سوى طعم المرارة والأسى ، لا لون في أعينهم سوى السواد فحياتهم ظلام دامس ، وشقاء دائم وهَمٌّ ملازم ، فالإرهابيون هم أعداء الحياة.

الإرهاب أخطر مشكلة تواجه الحياة بكل ما تحمله الكلمة من معنى الحياة حياة الإنسان ، الطير ، الحيوان ، كل صور الحياة مهددة اليوم ، فكم حصد الإرهاب من أرواح وأسال من دماء وفرَّق بين أحبة ويتَّم من أطفال ورمَّل من نساء ؟ كم أبكى من آباء على أبنائهم وأبناء على آبائهم ؟ كم نشر من رعب وأذاع من خوف ؟ وإذا كانت البشرية قد عانت في السابق من الإرهاب فإن ما عانته اليوم أكثر وما تنتظره أخطر حيث عصر الفضائيات وانتشار الأفكار- أياً كانت- فمع التقدم التقني وسباق التسلح فإن ما ينتظر البشرية من هول آثاره سوف يكون عاماً وقاسياً حيث سلاحه قوي وفتاك وأعمى لا يفرق بين مئذنة مسجد ومنصة صواريخ ، بين كنيسة وقاعدة عسكرية ، لايفرق بين من يحمل قلماً ومن يحمل سيفاً إنه سلاح أعمى بيد العميان.

إن أخطر ما في الإرهاب اليوم أنه يستند إلى فكر ويعتمد على ثقافة وعقيدة ورأي ، وهنا مكمن الخطر وموطن الداء وهنا يكمن جهد المصلحين ودعاة التعايش والسلام، لقد أصبح الإرهاب تهمة يتقاذفها ويتبادلها الظالم والمظلوم المعتدي والمعتدى عليه ، فبقوة الإعلام وبإعلام القوة اختلط على الكثيرين اليوم مفهومه وحقيقته ، وهنا كان لزاماً على كل باحث في شؤونه أن يحدد معالمه ويبين ماهيته حتى لا يُتهم به بريء ويبرأ منه متهم ، ومن هنا سوف يسير بحثي هذا في الخطوات الآتية : أولاً تعريفه . ثانياً :أنواعه . ثالثاً : أسبابه . رابعاً : موطنه . خامساً : آثاره . سادساً : موقف الإسلام منه . سابعاً : وسائل القضاء عليه .

معنى الإرهاب في اللغة العربية :

جاء في القاموس المحيط : رهِب بمعنى خاف أرهبه واسترهبه بمعنى أخافه . وترهبه : توعده ، وفي لسان العرب : ترهب غيره توعده والرهبة الخوف والفزع والراهب لأنه يخشى الله وأصل الرهبانية من الرهبة : الخوف .

أما في القرآن الكريم فقد جاءت كلمة الإرهاب في ثمانية مواضع :

الموضع الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة ٤٠] .

الموضع الثاني : في قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف ١١٦] .

الموضع الثالث : في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف ١٥٤] .

الموضع الرابع : في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال ٦٠] .

الموضع الخامس : في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل ٥١]

الموضع السادس : في قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام : ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ [القصص ٣٢] .

الموضع السابع : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء ٩٠] .

الموضع الثامن : في قوله تعالى : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر ١٣] .

من خلال ما سبق نجد أن الإرهاب يأتي بمعنى الخوف ، فرهب خاف أرهب أخاف إرهاباً إخافة.

والتخويف منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم ، ونستطيع أن نسمي النوعين بالإرهاب السلبي والإرهاب الإيجابي- الوقائي-.

سوف أبدأ بذكر الإرهاب الإيجابي أولاً :

الإرهاب الإيجابي أو الوقائي :

من أكبر المؤثرات في سلوك الإنسان ثقافته الفكرية وقناعاته العقلية ، ضميره الشخصي ، صفاته النفسية ، بيئته ، بيته ، وكذا ظروف نشأته ، ونظراً لاختلاف تلك المؤثرات تتباين الأفعال ويتباين السلوك ، فمن نشأ نشأة سوية تمتع بسلام نفسي فسوف يكون بلا شك في غالب الأحوال فرداً صالحاً وإنساناً سوياً لا يفكر في اعتداء ولا يحب الجريمة ، وهناك نوع آخر من البشر بسبب الاختلال في ظروف تكوينه وعوامل تثقيفه إلى غير ذلك من عوامل التأثير فإنه ينحو إلى الجريمة ويهوى الاعتداء ويتلذذ بتعذيب الآخرين ، وكثير من هؤلاء لا يحجزهم عن الجريمة إلا سيف العدالة وقوة الحق والخوف من العقاب .

ومن هنا عرفت البشرية القوانين ومن أجل ذلك سُنَّت من أجل تحقيق الردع حتى لا تقع الجريمة وتحقيق العدالة إذا ما وقعت ، ولايُتصور من عاقل أن ينكر على القانون ردعه وزجره ، ويمتاز القانون الشرعي الإلهي على القانون الوضعي بأنه يملك الردع والزجر الدنيوي والديني الأخروي ، ففي غيبة القانون أو بالتهرب منه وبكثير من الثغرات تحدث كثير من التجاوزات والأخطاء بل والجرائم ، ولكن المؤمن بوجود الله واطلاعه عليه ومجازاته بما يعمل يعلم يقيناً ألا مهرب من الله فيبقى الرادع موجوداً والزاجر قائماً مؤثراً في كل وقت وفي كل مكان.

من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم الآيات السابقات ، فقد جاء فيها كلا النوعين فهي إما تتحدث عن إرهاب الناس ظلماً لإجبارهم على دين لا يريدونه وترك دين يعتقدونه كما في قوله ﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف ١١٦] وهذا هو الإرهاب السلبي ، أو تأمر بالوقوف بكل قوة أمام الظلم ودفع فكرة الاعتداء والتخويف من أن تلعب برأس متهور أحمق ظالم فتكفه بقوتك وتردعه بهيبتك عن أن يفكر في ممارسة الإرهاب على الآمنين المسالمين ، وهذا هو الإرهاب الإيجابي المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال ٦٠] فهو إرهاب المعتدين الظالمين إرهاب لطائفة مخصوصة من أجل منع الإرهاب عن كل الطوائف وعن عامة الناس.

لقد خلق الله الإنسان وجعل حياته لا تستقيم إلا بأمرين لا غنى لأحد عنهما الأمن الغذائي والأمن الروحي ، وهما مترابطان متلازمان وقد جاء الاقتران بينهما في كثير من آي القرآن إما على سبيل ذكر نعمة الله على عباده بهذين الأمنين كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش٤] أو على سبيل العقاب بسلبهما كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل١١٢] أو على سبيل الابتلاء به كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة١٥٥] أو على سبيل الدعاء والتمني لوجودهما كما في قوله تعالى : على لسان نبيه إبراهيم –عليه السلام– ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة١٢٦] .

من هنا يتبين لنا ويتضح أن هدف الإرهاب النَّيْل من الأمن النفسي والأمن الجسدي وأن التهديد بهما أو ممارسة التهديد عليهما في غير حالة الدفاع ورد الاعتداء هو الإرهاب الذي نعنيه بـ (الإرهاب السلبي) كما يحلو لي أن أسميه أيضاً بـ (الإفساد) وتعريفه الذي أرتضيه هو (تهديد أو ممارسة الإرهاب أو كلاهما معاً ضد الإنسان في بدنه وروحه أو ماله أو وطنه في غير حالة الدفاع ورد العدوان).

وعرَّفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه : « العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان : دينه ودمه وعقله وماله وعِرْضه » ، كما أكد العلماء أن تعريف الإرهاب « يشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد » . . . ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر.

الإرهاب السلبي – الإفساد– :

لقد اعتبر الإسلام أن سلب أمن الناس من أعظم الجرائم التي يعاقب عليها ، كما اعتبر أن أي ترويع أو تخويف أو تفزيع للناس بأي أمر ولو كان صغيراً أوتافهاً من الذنوب والآثام التي يحرمها الله تعالى ويعاقب عليها ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

لقد وضع الإسلام أقسى العقوبات لما اعتبره أقسى الجرائم ليردع مرتكبيها عن جرائمهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾[المائدة٣٣، ٣٤].

إرهاب الفرد :

يقوم به الفرد وحده أو مع غيره من الأفراد دون أن يكون لهم هيكل تنظيمي أويتلقون تعليمات من قيادة يدينون لها بالولاء والسمع والطاعة.

إرهاب المنظمات :

وهو اتفاق مجموعة من الناس على تكوين جماعة لها قيادة بهدف ممارسة الإرهاب ، وتختلف هذه المنظمات في أسباب تكوينها ، لكنها تتفق في أهدافها من إلحاق الضرر وممارسة العنف المسلح ضد خصومها ، فقد تنشأ بأسباب دينية أوتحررية أو اقتصادية أو عنصرية .

من أمثلة هذه المنظمات الإرهابية جماعة « بادر ماينهوف » الألمانية ، ومنظمة « الألوية الحمراء » الإيطالية ، والجيش الأحمر الياباني ، والجيش الجمهوري الأيرلندي ، والدرب المضيء البيروية ، ومنظمة « إيتا » الباسكية ، . . اعتُبرت من أشهر المنظمات الإرهابية في تاريخ القرن العشرين من منظور غربي . ويضاف إليها في السنوات الأخيرة العديد من المنظمات الإسلامية والمسيحية واليهودية.

صور من استخدام العنف في العصر الحديث :

وقد برز أول تطبيق فعلي للعنف واستخدام القوى في إطار الصحوة الإسلامية الحديثة في مصر عام ١٩٧٤ فيما عرف فيما ذاك بـ « تنظيم الفنية العسكرية » . بقيادة الفلسطيني صالح سرية ، ثم تعاقبت بعد ذلك الجماعات والتنظيمات التي تستخدم العنف كوسيلة لتحقيق مآرب سياسية.

استخدمت بعض فصائل الصحوة الإسلامية العنف السياسي كوسيلة للتغيير في بلدانها ، كما في حالة جماعتي الجهاد والإسلامية في مصر ، وفرع جماعة الإخوان المسلمين في سوريا ، وحزب التحرير في الأردن ، بينما استخدمت جماعات أخرى القوة بعد فشل تجربتها في الوصول إلى الحكم من خلال صناديق الاقتراع والديمقراطية كما في حالة جبهة الإنقاذ في الجزائر ، بينما استطاعت حركات وفصائل الوصول إلى السلطة بالفعل باستخدام القوة أو الجيش كما في حالة السودان ، وشارك فصيل إسلامي مع الجماهير في سياق ثورة شعبية في إيران.

إرهاب الدولة :

تقوم به دولة من الدول ضد خصومها في الداخل أو الخارج عن طريق استخدام العنف والقوة المسلحة ووسائل التعذيب من أجل القضاء على خصومها أو تخويفهم.

تاريخ الإرهاب :

نستطيع الجزم بكل يقين بأن أول جريمة على وجه الأرض كانت جريمة إرهابية بشقَّيها اللذين جاءا في التعريف السابق الذي ارتضيناه أي التهديد أو الممارسة أوكليهما معاً حيث هدد ابن آدم – قابيل- أخاه بقتله ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة ٢٧ ، ٢٨] ثم انتقل من التهديد إلى الممارسة والمباشرة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة٣٠] فكانت أول جريمة وأبشع جريمة أن يقتل الإنسان أخاه الإنسان ومن أجل ذلك الاعتداء الآثم قال تعالى في نهاية تلك القصة: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة٣٢] وتوالت جرائم الإرهاب الفردي والجماعي بعد ذلك حتى وصل الحال بالبشرية إلى محاربة نفسها والقضاء على كينونتها ، زهدت في معاني الخير والنبل مُعظِّمة للماديات زاهدة في الروحانيات آثرت أن تجلس فوق بركان العصبيات والأحقاد المدمرة والأفكار السوداء ، لقد تبدل الإنسان ليصبح مسخاً جديداً أخذ من الإنسان مظهره ومن الحيوان الفاتك المفترس جوهره فصار حيواناً بعقل إنسان .

لقد رأينا صوراً كثيرة لهذا الخلق المشوه رأيناه في هجمات التتار والحملات الصليبية والحروب الاستعمارية والحربين العالميتين ، رأيناه في مذابح اليهود لأهل فلسطين ومحرقتهم الوحشية لأهل غزة على وجه الخصوص وجنوب لبنان ، رأيناه في أنهار الدم وهَتْك الأعراض في البوسنة والهرسك على أيدي الصرب ، رأينـاه وما زلنا نراه في مليون ونصف مليون قتيل في العراق غير المعاقين في أفغانستان في الشيشان في تفجير برجي أمريكا وقتل المدنيين الأبرياء في تفجيرات قطارات مدريد وحافلات لندن .

بل تستطيع القول بأنه في كل لحظة من لحظات الزمن يُمارس الإرهاب وتنتهك العدالة وتستغيث الرحمة ولا شفاعة لتوسل ضعيف أو بكاء صغير أو تضرع شيخ أو صراخ طفل أو مخاطبة نخوة أو شرف ، ضاعت كل التوسلات على صخرة القلوب القاسية وجفَّتْ وتبخرت كل الدموع أمام نيران الحقد المدمرة ولا تكاد تخلو نشرة أخبار حتى يومنا هذا من خبر عن ضحايا الإرهاب من مشرق الأرض إلى مغربها ومن شمالها إلى جنوبها.

أسباب الإرهاب :

الفقر :

حيث تُلجئ الحاجة والفقر وضرورات الحياة البعض إلى سلوك مسلك عدواني حاقد تجاه الأفراد والدول وتجاه كل شيء فيصبح ناقماً ساخطاً شاعراً بالكراهية والبغضاء تجاه الآخرين ، خاصة إذا ما استفزت مشاعره من قِبَل بعض الأغنياء الذين يموتون تخمة ويموت هو جوعاً ، بين مَنْ يتقلب ملالة بين أنواع الترف وبين مَنْ يعاني الفقر ويتجرع القرف ، إن هذا التناقض الصارخ وعدم الرحمة الفاضح يدفعانه بقسوة للبحث عن حياة آمنة قد يتمتع فيها بالأمن النفسـي والغذائـي ولو بممارسة العنف والإرهاب.

ويتفاقم الأمر بممارسة بعض الدول الغنية القوية سياسة الحصار الاقتصادي على دولة بعينها من أجل تغيير سياستها وإخضاعها لما تمليه عليه من نظم أوأفكار

أو بإرهاق الدول واستغلال معاناتها بالقروض وفوائدها فتدور عجلة التنمية إلى الخلف.

من أصعب الفترات الحرجة التي تمر بالإنسان حاجته إلى الأمن الغذائي والنفسي عندما يجد نفسه بلا مأوى أو طعام حيث يكون في أغلب الأحوال جاهزاً لقبول أي فكر أو القيام بأي عمل مما يسهل تجنيده من قِبَل الباحثين عن أفراد لتجنيدهم وخاصة من طبقة الشباب الذين يقتل حلاوة آمالهم مرارة واقعهم .

الظلم الاجتماعي :

النقص في مصادر الثروة والسلع والخدمات ، وعدم العدالة في توزيع الثروة، والتفاوت في توزيع الدخول والخدمات والمرافق الأساسية كالتعليم والصحة والإسكان والكهرباء بين الحضر والريف ، وتكدس الأحياء العشوائية في المدن بفقراء المزارعين النازحين من القرى فضلًا عن زيادة أعداد الخريجين من المدارس والجامعات الذين لا يجدون فرص العمل ، يؤدي إلى حالة من الإحباط الفردي والسخط الجماعي .

عدم وجود حريات حقيقية تسمح بحرية التعبير والتمتع بالديموقراطية دون تمييز بين حاكم أو محكوم تدفع البعض إلى اتجاه غير مشروع للحصول على الحق المشروع فتبرر الغايات عندهم الوسائل.

الظلم السياسي :

ويتمثل في إرهاب الدولة لإحكام قبضتها واستمرار بقاء نظامها فتعمد إلى التضييق على الحريات وممارسة العنف المضاد ، وغالباً ما يحدث فيه تجاوزات واعتداءات على كرامة الإنسان وحريته عن طريق التعذيب النفسي والبدني فتزداد النقمة ويترسخ مفهوم الإرهاب بدلاً من معالجته.

الفكر والثقافة :

حيث يُمارس الإرهاب المبرر بغطاء ثقافي أو ديني أو فكري ، وهذا أخطر أنواع الإرهاب وأعقد أنواعه معالجة حيث هو الرحم الأم التي تفرخ لنا الإرهاب

العقائدي سواء أكانت عقيدة بشرية أو فكراً فلسفياً أو عقيدة دينية ، لأنه يكون متأصلاً متجذراً في نفس صاحبه ويحتاج إلى جهد كبير لتنويره وتأهيله ، ويقود هؤلاء في الغالب أشخاص يتمتعون بقدر من المنطق وقليل من العلم وبقوة من التأثير النفسي على أشخاص جهلاء ضعفاء وتكون الطامة بين جاهل وأجهل منه ، ومثلهم كمثل أعور أعشى يقود عمياناً وهم يظنونه من أبصر الناس.

هذا السبب قد تقع فيه دول تمارس الإرهاب بغرض الهيمنة الفكرية والثقافية عن طريق فرض معايير للتعايش تراها الدول القوية دون النظر إلى الفوارق والتمايز بين الأمم في ثقافاتها وعقائدها وعاداتها.

أزمة التعليم :

تعتمد نظم التعليم في معظم الأقطار العربية على التلقين والتكرار والحفظ ، وعلى حشو ذهن الطالب طوال مختلف المراحل الدراسية بمعلومات ، دون إعمال للعقل ودون تحليل أو نقد . ومثل هذه النظم تفرز طالبًا يتقبل بسهولة كل ما تمليه عليه سلطة المعلم دون نقاش ، وبذلك يصبح من السهل جدًا على مثل هذا الطالب أن يتقبَّل كل ما تمليه عليه سلطة أمير الجماعة دون تحليل أو نقد أو معارضة ، ويكون عرضة للانخراط في أية جماعة أيًا كان توجهها ، حيث يتم تلقين الفكر وتقبله دون تحليل ، ويسهل الانقياد بفعل إبطال عمل العقل.

وقفة خاصة مع الشباب :

إن مكمن قوة أي أمة في شبابها ، الشباب عدة الحاضر وبُنَاته وصرحه ولبناته، هم قواد المستقبل الذين يقودون الأمة في مختلف شئون الحياة ، هم رجال الفكر والسياسة والاقتصاد ، هم المعلمون والأطباء ، هم العمال فإن فسدوا فسدت الحياة بحاضرها ومستقبلها.

ولما كان سن الشباب هو سن الثورة والجرأة والمغامرة وحب التغيير والنهوض بأعباء العمل لتحقيق الأمل وجب أن يولي المصلحون والمربون الشباب جهدهم وعنايتهم وتحصينهم بأمرين هامين مكارم الأخلاق التي تربي فيهم خلق الرحمة

والعدل والإحسان ، وعقيدة سليمة تحصنهم من خواء بالعقول وفساد الأفكار والتصورات ، عقيدة لا تسمح لهم بخيانة مبدأ أو بيع ضمير ، عقيدة لا تسمح لهم ببيع المبادئ ولا الأخلاق .

إن الاهتمام بالشباب إنما يبدأ من الصغر حيث التربية والتوجيه وغرس المعاني الفاضلة ، هذا هو وقت التلقين والغرس وإعطاء الأمثلة الرائعة من التاريخ للعظماء المصلحين.فإذا ما أدرك البلوغ أو جاوزه بقليل يأتي وقت المصاحبة بين الآباء والأبناء حتى لا يخفي عنك سراً أو يستهويه صديق فاسد أو متربص صائد ، والمصاحبة وحدها لا تكفي بل لابد من المتابعة بأسلوب لطيف دون أن تُشعره بأنه فاقد الأهلية أو لا يحسن التصرف ، أو أنه ما زال في عينيك طفلاً فينفر منك تحت شعوره بالضغط عليه وقهره ، أو عدم التقدير لرجولته وعقله .

القوة الطاغية :

استخدام منطق القوة لا قوة المنطق للحصول على خيرات ومقدرات الشعوب الضعيفة ــالاستعمار العسكري- .

العنصرية والطبقية :

التي تفرق بين البشر على اعتبار اللون أو الجنس أو الغنى والفقر.

الإعلام :

وقد بلغ الإعلام من قوة التأثير حيث تستطيع دقيقة واحدة في إحدى الفضائيات أن تفعل ما لا تفعله الحروب في سنوات ، فتعبئ أحقاداً وتغير أفكاراً وتكتسب أنصاراً ، وذلك بسبب سرعة انتشارها واتساع رقعتها.

وأنا أعتقد أن اتساع ظاهرة الإرهاب وانتشار فكره والتعاطف معه في العقد الأخير هو قيام بعض الفضائيات باستضافة المبرزين من المتشددين والإرهابيين في برامجها لبث فكرهم عن طريق الاستضافة أو الحوار مع طرف آخر من المحسوبين على طرف الاعتدال غير أنه ليس كفؤاً في إقناعه ورده مما يرسخ من فكر الطرف الآخر الذي يخرج

منتصراً وقد اكتسب طائفة من المشاهدين الذين يتأثرون بالعاطفة فتسوقهم نحو أعمال اقتنعوا بها عاطفة وشعوراً لا علماً وفقهاً حيث ميزان التفرقة بين الحق والباطل عند التنازع والتخاصم وتقارع الأدلة لا يستطيعه إلا العلماء المتخصصون.

موطن الإرهاب :

الإرهاب جرثومة متى وجدت أسبابها وجدت وظهرت في أي مكان وفي أي زمان ، فهو ليس صفة وراثية تنتقل عبر الأجيال ، وإنما أسباب ومؤثرات وظروف وعوامل تدعو لوجوده ، لقد عرف العالم الإرهاب في أشكاله المتعددة ومواطنه المختلفة وعقائده المتباينة عرفته كل الأديان والثقافات ولم نجد دولة واحدة قد سلمت منه من جنوب إفريقيا حيث الإرهاب العنصري إلى أقصى شمال أوروبا في السويد التي فقدت وزيرة خارجيتها آنا ليندو ANNA LIND والتي لم تكمل ستة وأربعين عاماً ، عدة طعنات تلقتها في صدرها في متجر لبيع الملابس في وسط العاصمة في يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠٣ وقد صادف هذا اليوم ذكرى كارثة نيويورك وواشنطن وكان آخر كلامها (إلهي لقد طعنني في صدري) وخرجت روحها كما أرواح الآخرين التي تشكو إلى باريها ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

وظاهرة الإرهاب والتطرف إحدى ظواهر السلوك الإنساني الشاذ التي أقلقت ومازالت تقلق الكثير من دول العالم النامي ودول العالم المتقدم على السواء ، وهي عمل غير مشروع من أعمال العنف ، يهدف إلى بث الرعب والفزع داخل مجتمع ما أو شريحة منه بهدف تحقيق هدف ما ، وتعد هذه الظاهرة من أخطر مصادر التهديد الرئيسية للأمن القومي .

وكان أول استخدام لأداة مستخدمة تقنية في مجال الإرهاب هو استخدام منظمة إرهابية ايرلندية للقنبلة في عملية هروب أحد المساجين من سجون العاصمة البريطانية في العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، إن الإرهاب بدأ يلفت أنظار العالم اعتباراً من عام ١٩٧٢ بوقوع حادثة اللد فى نهاية شهر مايو التي قُتِل فيها ٢٨ شخصاً وأصيب ٧٨ شخصاً ، ثم حادثة القرية الأولمبية الشهيرة فى أولمبياد ميونخ الألمانية في ٥ ديسمبر ١٩٧٢م .

لقد شهد عام ١٩٨٧ أكبر عدد من الحوادث الإرهابية بلغت ٦٦٦ حادثة لكنها لم تتضمن الممارسات الإسرائيلية اليومية لتفجير بيوت الفلسطينيين فى الأراضي المحتلة.

وأشارت المؤشرات التحليلية إلى تراجع عدد الحوادث الإرهابية فى عام ١٩٨٥ إلى ٦٣٥ حادثة ، ثم بلغ فى العام التالي ٦١٢ حادثة ، وفى عام ١٩٨٨ بلغ ٦٠٥ حوادث من بينها حادثة اختطاف الطائرة الكويتية (الجابرية) وحادث تفجير طائرة تابعة لشركة بان أمريكان فوق قرية لوكيربي ، وأخرى تابعة لشركة يوتا الفرنسية فوق النيجر.

ومن بين حوادث الإرهاب حادثة خطف السفينة الايطالية أكيلاوروا فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨٥ وعلى متنها ٧٨٠ راكباً وطاقمها لكنها لم تسجل حادث اختطاف السلاح الجوي الأمريكي للطائرة المصرية التي كانت تقل خاطفي السفينة الإيطالية وهي فى طريقها إلى تونس .

وفي عام ١٩٩١ احتل المرتبة الخامسة من حيث عدد الحوادث الإرهابية التي بلغت ٥٦٥ حادثة وتساوى مع عام ١٩٨٤ في نفس المرتبة ، بينما سجل عام ١٩٩٨ أدنى مستوى من الحوادث الإرهابية وتصدر قائمتها من حيث عدد الضحايا حيث راح ٦٦٩٣ شخصاً مما يعطي دلالة واضحة على اتجاه العمليات الإرهابية إلى إنزال الضرر بأكبر عدد ممكن من البشر .

الأساليب والوسائل التقنية التى يستخدمها الإرهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها إن العمليات الإرهابية لم تعد بسيطة بل أصبحت عمليات منظمة تأخذ بالتخطيط العلمي والدقة في التنفيذ واستخدام أحدث ما ينتجه العلم من تقنيات ، وشهد عام ١٩٩٥ الذى يمثل نقطة انفجار فى مسار العمليات الإرهابية التى تقوم بها الجماعات المنظمة حادثة انفجار المبنى الفيدرالي الحكومي في اكلاهوما الذي راح ضحيته ١٦٦ شخصاً وحادثة مترو أنفاق باريس والهجوم الإرهابي على السفارة المصرية في إسلام أباد ومحاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في يونيو في أديس أبابا .

كما شهد إطلاق جماعة (اوم) المتطرفة في اليابان لغاز الأعصاب السام في شبكة مترو الانفاق في طوكيو وفي بعض القطارات وأصاب أكثر من ٥ آلاف شخص ، وانفجار قنبلة فى مكاتب إحدى الشركات الأمريكية فى سانتياغو بتشيلي .

ومذبحة قانا التى قتل فيها ١٤٧ شخصاً على أيدى القوات الإسرائيلية جنوب لبنان ضمن حوادث عام ١٩٩٦ والحوادث التى وقعت فى الآونة الأخيرة ، ومنها عملية اختطاف الطائرة الروسية التى اقتحمتها قوات الأمن السعودية بنجاح وفى وقت قياسي.

وسجل فى عام ١٩٩٧قيام منظمة توباك أومارو الثورية اليسارية المناهضة لحكومة بيرو باحتجاز ٧٢ رهينة من بينهم سفراء وأعضاء سلك دبلوماسي فى بيرو وقصف أمريكا لمقر التنظيم الإرهابي في أفغانستان وقصف مصنع . وتصدرت حوادث التفجير المرتبة الأولى فى عام ١٩٩٧ وبلغ عددها ١٧٥ حادثاً أي نحو ٥٧.٧ في المائة من إجمالي عدد حوادث الإرهاب .

وتستخدم فى مثل هذه الحوادث عادة مركبة مفخخة باعتبارها وسيلة متاحة للقيام بعمل انتحاري أو باستخدام تقنية التفجير عن بُعْد ، ويتسبب في وفيات أو أذى جسيم.

إن حوادث خطف الأشخاص واحتجازهم كرهائن تأتي فى المرتبة الثانية وبلغ عددها ٥٤ حادثاً وتمثل ١٨ في المائة من العدد الكلي للحوادث الإرهابية ، فيما تحتل حوادث الهجوم المسلح المرتبة الثالثة ، ثم حوادث إطلاق المقذوفات النارية ، ثم حوادث إضرام الحرائق واحتلال الأماكن والسيطرة عليها والتخريب وحوادث خطف الطائرات.

إن الحوادث التي وقعت في الفترة من (١٩٩٤ الى ١٩٩٩) حسب المناطق تبين أن أكبر عدد من الحوادث وقع خلال هذه السنوات الست كان في غرب أوروبا في عام ١٩٩٥ ووقعت ٢٧٢ حادثة ثم فى أمريكا اللاتينية في عام ١٩٩٧ التى وقعت فيها ١٢٨ حادثة وفى أوروبا الغربية عام ١٩٩٦ بوقوع ١٢١ حادثة وأمريكا اللاتينية في عام ١٩٩٧ .

لقد عرفت أوروبا على وجه الخصوص المنظمات الإرهابية التي تبنت العنف في سبيل تحقيق أهدافها وخاصة فترة الستينات والسبعينات من أشهرها الألوية الحمراء في إيطاليا ومنظمة الجيش الأحمر في ألمانيا والعمل المباشر في فرنسا ومنظمة الجيش الجمهوري الإيرلندي ومنظمة إيتا الانفصالية في إسبانيا ، وإذا كانت هذه المنظمات قد خففت نشاطها بعد سقوط جدار برلين وانحسار الفكر الشيوعي الستاليني فإن أعمال العنف لم تتوقف والتي من أخطرها جرائم التطهير العرقي والعنصري والذي شاهد العالم كله أبشع صوره في البوسنة والهرسك على يد الصِّرْب والكروات.

بعض صور الإرهاب في مصر :

يمكن القول إنه تمت كل مظاهر الإرهاب وصوره في مصر سواء على الأشخاص أو الأموال أو وسائل النقل ، فقد تم اغتيال الرئيس الراحل محمد أنور السادات عام ١٩٨١ ، كما تم اغتيال بعض الشخصيات الدبلوماسية والسياسية ممن كانوا معه ، كما تم اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصري عام١٩٩٠ ، ومحاولة اغتيال الرئيس محمد حسني مبارك في أثيوبيا ١٩٩٦ ، كما شهد عام ١٩٨٧ ثلاث محاولات استهدفت الشخصيات السياسية منها اللواء النبوي إسماعيل وزير الداخلية واللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية والشخصيات العامة أ.مكرم محمد أحمد رئيس تحرير المصور ، وفي عام ١٩٨٩ وقعت محاولة اغتيال اللواء زكي بدر وزير الداخلية ، وفي عام ١٩٩٣ وقعت ثلاث محاولات اغتيال استهدفت وزير الإعلام المصري صفوت الشريف ، ورئيس وزراء مصر الدكتور عاطف صدقي واغتيال الضابط المكلف بمحاربة الإرهاب رؤوف خيرت ، ومحاولة اغتيال الأديب أ.نجيب محفوظ ، ثم محاولات الاعتداء على ضباط الشرطة والمتعاونين معهم . هذا من ناحية الشخصيات .

كما قامت محاولات إرهابية باستهداف المنشآت والمرافق ووسائل النقل السياحية بغرض ضرب السياحة ، كما تمت الاعتداءات الإرهابية على القطارات والفنادق

العامة ، منها عملية فندق أوروبا والمتفجرات على الباص السياحي أمام المتحف المصري بميدان التحرير بالقاهرة عام ١٩٩٧م ، والعمليات الإرهابية في الأقصر في المعبد الفرعوني بالدير البحري عام ١٩٩٧ ضد السياح الآمنين وقُتِل فيها أكثر من ستين سائحاً ، كما تمت بعض العمليات الإرهابية عن طريق السطو المسلح على البنوك في أماكن مختلفة بالجيزة وبني سويف والمنيا ، كما امتدت العمليات الإرهابية إلى محلات الذهب الموجودة بمدينة طنطا بشارع الجمهورية بعد إغلاق الشارع.

من صور العمليات الإرهابية بالسعودية :

نجد أن بعض العمليات الإرهابية تمت هي الأخرى بالسعودية بمكة المكرمة وبالخُبَر وبشمال الرياض والعليا ومجمع المحيا السكني والخرج .

من صور الإرهاب في إسبانيا :

في إسبانيا (مدريد)لعل آخر التفجيرات الإرهابية باستعمال القنابل والشحنات المتفجرة ما حدث في مدريد عاصمة إسبانيا في محرم ١٤٢٥هـ الموافق مارس ٢٠٠٤م والتي قُتِل فيها (١٩٩) شخصاً ينتمون إلى (١١) دولة من بينها إسبانيا ، كما جرح فيها ١٤٠٠ شخص والتي نتجت عن سلسلة من التفجيرات بقطارات ضواحي مدريد في مترو أنفاق خلال ساعات الذروة الصباحية .

من صور الإرهاب في بريطانيا :

في ٧/ ٧/ ٢٠٠٥ شهدت العاصمة البريطانية سبعة انفجارات أسفرت عن مقتل ٣٧ شخصاً على الأقل وجرح ٧٠٠ شخص في مترو الأنفاق.

انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني منذ أكثر من نصف قرن :

إسرائيل تمارس إرهاب الدولة منذ أكثر من نصف قرن وتنتهك الحقوق الإنسانية للشعب الفلسطيني يومياً بسبب ممارستها إرهاب الدولة ضد الشعب الفلسطيني هذا الشعب الذي تُنتهك حقوقه والذي يسعى للحرية والاستقلال ، ونورد فيما يأتي بعض صور (إرهاب الدولة الإسرائيلية) الذي يتمثل فيما يأتي :

- اغتيال القيادات السياسية والفكرية والدينية .
- انتزاع الأراضي الفلسطينية .
- منع الفلسطينيين من البناء أو ترميم مبانيهم .
- الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وتجريفها .
- مصادرة البساتين المغلة أي المثمرة لغلات زراعية .
- الحرمان من الثروة المائية .
- تضييق سبل العيش بتقييد الحركة وحظر التجوال .
- الحرمان من العمل .
- هدم المنازل .
- قصف مدمر للبنية الاقتصادية .
- ترويع الآمنين بالاعتقالات المجحفة ورميهم في السجون دون توجيه تهم محددة.
- توغل الدبابات وقصف بالمروحيات للأحياء السكنية .
- تطبيق سياسات العقاب الجماعي .
- وأخيراً حرب الإبادة على غزة .

إلى غير ذلك من انتهاكات صريحة وواضحة لقرارات الشرعية الدولية والقانون الدولي الإنساني واتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م والبرتوكولات الملحقة بها .

موقف الإسلام من الإرهاب :

تتفق كل الرسالات السماوية في أمرين : أمر العقيدة وأمر الأخلاق ، فالأديان جاءت لتصحح العلاقة بين الإنسان وخالقه وبين البشر بعضهم البعض ، وفي الإطار الثاني وهو المعاملات جاءت كل الرسائل السماوية بمكارم الأخلاق

ومحاسن السلوك تأمر بكل خير وتنهى عن كل شر ، والإسلام وهو الدين الخاتم لكل الرسالات لايفرق بين العقيدة والمعاملة ، بل يعتبر المعاملة دليلاً على صحة أو فساد العقيدة ، لقد حارب الإسلام الإرهاب والعنف الذي يتناقض مع الحكمة التي من أجلها أرسل الله رسوله محمداً ﷺ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء١٠٧] وهذا أسلوب حصر وقصر ، كما أنه أفاد العموم والشمول لكل العوالم من عالم الإنس الحيوان والطير وغيرها ، ووضع الإسلام مجموعة من المبادئ من أجل محاربة الإرهاب.

نفي الإيمان عمن يمارسه : وفي الحديث « لا إيمان لمن لا أمان له ، ولا دين لمن لاعهد له » وفي حديث آخر « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل : مَنْ يارسول الله ﷺ ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه » .

تحريم الإرهاب في أدنى صوره : فحرم التهديد بالكلمة وبالإشارة : وفي الحديث « من أشار إلى أخيه بالحديدة لعنته الملائكة حتى يضعها » .

تحريم الإرهاب في كل صوره حتى مع الطير : روى الإمام أحمد وأبو داوود أن النبي ﷺ نزل منزلاً فأخذ رجل بيضة حمرة فجاءت ترف على رأسه فقال : أيكم فجع هذه في بيضتها؟ فقال رجل : يا رسول الله أنا أخذت بيضتها . فقال : « اردها رحمة لها » .

تحريم الغدر ولو مع المحاربين :وفي حديث صفات المنافق « وإذا عاهد غدر» وفي الحديث « يُرفع لكل غادر لواء يوم القيامة يقال : هذه غدرة فلان بن فلان » .

قال عمر رضي الله عنه « من أشار إلى رجل فوق جبل أن انزل على الأمان ثم قتله لقتلته به » .

قال الماوردي : « وإذا أمَّن بالغ من عقلاء المسلمين حربياً لزم أمانه كافة المسلمين ثم قال : والمرأة في بذل الأمان كالرجل والعبد فيه كالحر ويصح أمان الصبي » .

وصية أبي بكر – رضي الله عنه – لأسامة بن زيد- رضي الله عنه :

« لا تخونوا ولا تغدروا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولاتعقروا نخلاً ولا تُحرِّقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً

إلالمأكله ، وإذا مررتم بقوم فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم لـــه » رواه مسلم .

تحريم الاعتداء على الآخرين : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة١٩٠]

عدم الإكراه على العقائد : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة٢٥٦] .

عدم الظلم عند المعاقبة : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل١٢٦] .

عدم تمني القتال مع الأعداء : فالقتال مكروه لكل ذي فطرة سوية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة٢١٦] .

التذكير بنعمة عدم وقوعه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم ﴾ [الفتح٢٤] .

تحريم الاعتداء على الآخرين : فالقتال للدفاع لا للاعتداء ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة١٩٠] .

تحريم الاعتداء بالقتل ولو على الحيوان : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » متفق عليه.

عدم نكث العهود والأمر بالوفاء بها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة١] .

نبذ العهد قبل محاربة مَنْ تُخشى خيانته أي إعلامه بانتهاء العهد : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال٥٨] .

إفشاء ثقافة حب الحيـــاة : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود٦١] وفي الحديث «خيركم من طال عمره وحسن عمله» رواه الترمذي والدارمي وابن حنبل ، وفي الحديث « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها » . رواه البخاري

وسائل القضاء على الإرهاب :

أولاً : الأسرة :

هي النواة الأولى التي يتشكل فيها الإنسان والرحم الأم التي يتكون فيها فكرياً ونفسياً وعلمياً ومن خلالها يكون فرداً صالحاً وإنساناً سوياً مع كل البشر في مجتمعه وفي غير مجتمعه ، وتشهد دور الملاحظات الاجتماعية والمؤسسات العقابية الخاصة بالأحداث أن معظم هؤلاء إن لم يكن جميعهم فقدوا التربية الصحيحة والاهتمام والرعاية من أسرهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم٦] وفي الحديث « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجِّسانه » رواه البخاري ومسلم .

وما أحسن قول شوقي :

ليس اليتيم من انتهى أبـواه ... من هَمِّ الحياة وخلَّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى لـه ... أماً تخلَّت أو أباً مشغـولا

إن دور الأسرة الحقيقي يكمن في غرس بذور الأخلاق الكريمة والمعاني الفاضلة حتى ينشأ الطفل نشأة سوية ، وفي هذا السياق أهيب بالمؤسسات الاجتماعية الإسبانية التي تستقبل الأطفال والشباب وتوفر لهم الإعاشة والدراسة على أراضي إسبانيا أن توفر لهم أيضاً الغذاء الديني الروحي عن طريق زياراتهم للمساجد والالتقاء بالأئمة المعتدلين ، وكذلك توجيه الدعوات للأئمة للدور الاجتماعية للالتقاء بهم وتحصينهم من تيارات تتلقفهم عن طريق الالتقاء بهم خارج الدور خاصة في نهاية الأسبوع ، إن حاجة الإنسان لمعرفة دينه فطرية ، إذا لم تُعلَّم وتغرس عن طريق أهل الاعتدال فسوف يملأ هذا الفراغ آخرون ونندم حيث لا ينفع الندم.

ثانياً : المدرسة :

ليس كافياً في بناء شخصية الطالب أن نعتمد على توجيهات ونصائح المعلمين لطلابهم وإنما نحتاج في إطار التشكيل الثقافي والفكري اليوم لأبنائنا الطلاب إلى تدريس مادة خاصة عن الأخلاق والتعايش وحقوق الإنسان ، ومن خلال البيت والمدرسة يتكون جناحا الطائر الفكري والشعوري فيطير بهما في سماء الفضيلة.

ثالثاً :العدالة :

وتحت هذا الاسم تدخل كل صور العدالة وأنواعها من عدالة اجتماعية واقتصادية وسياسية وقضائية..إلخ وهذه الأخيرة من أهم الأسباب للقضاء على الإرهاب فما قُضِي على الباطل بمثل الحق ولا قُضِي على الظلم بمثل العدل.

رابعاً : الحوار والإعلام :

إن من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها بعض الدول في محاربة الإرهاب هو الاعتماد على الحل الأمني وحده والذي أثبت الواقع فشله في القضاء على الإرهاب بل قد يزداد فكر العنف غلواً ويصبح أكثر قناعة بممارسة الإرهاب عندما يعامل ظلمه بظلم مماثل أو أشد ، لكل داء دواء ، وداء فكر العنف والإرهاب إنما يكون بالمناظرة والإقناع والمحاورة ، إن من أخطر آثار غيبة العلماء عن الحوار مع أصحاب الغلو الفكري توسيع قاعدته وانتشار فكره الذي يجتذب إليه طائفة الشباب صغير السن وغير المثقف والذي يعبأ حقداً ويملأ صدره كراهية وينمى فيه حب الانتقام ليصبح قنبلة بشرية موقوتة جاهزة للانفجار في أي وقت وأي مكان.

إن اكتفاء بعض العلماء بتكفير أو تفسيق هؤلاء الشباب ووسمهم بالانحراف والتطرف لهو من أسهل ما يكون ، يستطيع أن يقوم به أدنى جاهل ، لكن هل غيَّر ذلك الأسلوب فكراً أو أرشد ضالاً أو أصلح فساد عقيدة أو حمل بعضاً من هؤلاء إلى الجادة ؟ أقول :العكس هو الصحيح ، قابل هؤلاء الشباب أقوال العلماء بمزيد من التطرف الذي تعدى إلى العلماء أنفسهم واتهامهم بالنفاق ومجاراة السلطة وأنهم علماء السلطان فاتسعت الهوة وأعيا الخرق راتقيه .

إننا في الحقيقة ينبغي أن نصارح أنفسنا : هل هؤلاء الشباب في الحقيقة هم أعداء وطن أو خونة مأجورون أو كما يقول البعض تقليداً إنهم يفعلون ذلك من أجل المال؟ كل ذلك لا يستقيم مع قراءة للواقع وتحليل للأحداث ، فلو كانوا جامعي مال لسلكوا طرق الحرام وما أكثرها وما أسهلها، وليسوا بطبيعة الحال عملاء لجهات أجنبية فالتاريخ القديم والحديث ليشهد أنهم مخلصون لبلدانهم وأوطانهم ،

وعند الأزمات تظهر تلك الصفات ولا عبرة لشاذ أو نادر فذلك ملفوظ من أهله قبل مجتمعه .

إنه من غير المعقول أن نقول بأن البعض يقوم بعمليات دموية إرهابية هو يعلم يقيناً أنه أول ضحاياها من أجل مال ، وأي فائدة لو أعطوه الدنيا وما فيها وهو يعلم أنه ذاهب للموت محتضناً الهلاك ، إذاً ليس هناك سوى رحم الفكر الفاسد والتصور الخاطئ الذي ارتكز على سلبيات الواقع بكل أنواعها من جهة ، والتركيز على وتر العاطفة بشحن العقل وملء العقل بالبغض والكراهة لهذا الواقع من جهة أخرى ، حتى إذا ما افتقد أبناؤنا ثقتهم في مجتمعاتهم وصلوا إلى مرحلة الانعزال الفكري والروحي والخصام النفسي في الوقت الذي يلح فيه الآخرون على عقله بمحاولة التمرد والتغيير والتي يقبلها ثم مرحلة الوسائل التي لا يرفضها ، وهنا تكون الطامة حيث تسري عدوى الأفكار وتنتشر بين القرناء ، كل ذلك ونحن في غيبة حقيقية عن وسائل العلاج الحقيقية.

إن مما يستفز هؤلاء الشباب هو التركيز على سلبيات الشاب الملتزم فقط ، أو المبالغة في تصويرها بصورة مزرية يعرف المجتمع كله مدى بُعْدها عن الحقيقة وغرقها في خيال الكاتب وتصويرها في عقل المخرج وإفرازها مشاهد تمثيلية استفزازية ، لم تقدم حلاً أو تعطي علاجاً ، بل ساعدت على اتساع الفجوة والقضاء على بقية أمل في إصلاح هؤلاء.

إن تركيز الفن بأنواعه المختلفة ومن أهمها السينما والتليفزيون على السلبيات وإبرازها وتكرارها وغض النظر عن قطاع عريض من الشباب الملتزم المعتدل والمثقف والذي يفيض حباً لله وحباً لبلده وتجاهله لهم تماماً بل إنهم يوضعون بطريق مباشر أو غير مباشر مع غيرهم من هؤلاء الذين بعدوا عن الصواب بحكم جامع المظهر بينهم من لحية أو ثوب ، إن هذا التركيز ليوحي إلى هؤلاء بأن أهل الفن إنما يكرهون الدين وأهله ، ومن هنا ينبغي لأهل الفن أن تكون لهم وقفة جادة ومخلصة لإنقاذ هؤلاء من براثن التطرف .

إنه يجب على العلماء أن يقوموا من خلال خطب الجمع والدروس الأسبوعية وجميع وسائل الإعلام بالحوار الجدي العلمي وتفنيد أوهام أدلتهم وبيان خطأ منهجهم ولكن بأسلوب يشعر منه هؤلاء الشباب بحنو الوالد الرحيم لا قسوة العدو المتربص اللئيم ، إننا أحوج ما نكون إلى إعادتهم إلى طريق الصواب عن طريق الحوار والاستماع والسؤال والجواب.

ما أسهل البتر ولكن لماذا نخسر عضواً من الجسم وهناك من الوسائل ما يكفي لإنقاذه وإصلاحه؟ إنه ينبغي أن يعلم بل يشعر ويحس هؤلاء الأبناء أن رجال الأمن ليسوا خصماء دين ولا محاربي فضيلة ولا هواة اعتقال أو تعذيب وإنما هم في الحقيقة يريدون الحفاظ على السلم الداخلي الذي يتعرض للتهديد على يد أبناء لايدرون في كثير من الأحوال بل كلها أنهم وسائل تنفيذ لعقول ماكرة وأعداء متربصين يجرونهم لتحقيق غاياتهم ومآربهم وهم لا يشعرون.

إنه ينبغي أيضاً أن يكون من أهم أهداف رجل الأمن هو الإصلاح والتقويم وتأهيل هؤلاء الشباب للاندماج في المجتمع من جديد.

إن افتقاد أي عنصر من المجتمع لهو خسارة لهذا المجتمع بغضّ النظر عن عقيدته أووظيفته ، فلكل دوره الذي ينبغي أن يحترم ويجل ، من هنا تعود روح الانتماء وتقوى جذور الصلة فيصعب اقتلاعها أو إفسادها.

إن من أمسّ الحاجات في علاج قضايا الإرهاب هو تكليف مجموعة من علماء الدين والنفس والاجتماع لمعرفة أسبابه ودراسة عوامل نشأته وكيفية علاجه ومنها إصدار كتب تعالج الفكر والنفس والروح وتجيب فيه على كل التساؤلات والشبهات ولتكون مرجعاً وحصناً لأبنائنا الذين يُخدعون من أدعياء العلم أويعانون من أمراض العزلة الاجتماعية.

أمثلة من التاريخ لثمرات الحوار :

- شاهد من التاريخ الإسلامي ، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سعيه لعلاج مشكلة الخوارج قبل أن يقاتلهم أرسل إليهم عبد الله بن عباس رضي

الله عنهما ليحاورهم فنجح في مهمته وخفض عددهم إلى النصف حيث تاب نصفهم وعادوا إلى طريق الصواب ، وتكرر المشهد نفسه في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله فمن خلال الحوار استطاع أن يجعل من فترته أهدأ فترات الدولة الأموية من حيث المشكلات التي كان يثيرها الخوارج والمعارك الداخلية، وحتى ينجح الحوار لا بد من اختيار شخصية المحاور بأن يكون ذا علم واسع غزير ملمًّا بالشبهات وطريقة الرد عليها ، يملك أسلوبًا جيدًا في الحوار والإقناع، ملمًا بوسائل التأثير الحديثة كعلم النفس ونحوه ، وأن يكون الحوار على قاعدة الاحترام المتبادل بين الطرفين ، بألا يكون الحوار في صورة الفوقية والتعالي مما يؤدي إلى النفرة وعدم القبول أو أن يتبنى نبرة الأستاذية أوالتوبيخ والتسفيه ونحوها من سلبيات الحوار .

- لقد نجح الحوار في العصر الحديث في إرجاع الكثير من الشباب إلى الطريق الصحيحة والتخلي عن فكر العنف من أجل التغيير ، وأذكر أن من أوائل الذين نادوا بذلك وزير الداخلية المصري المرحوم عبد الحليم موسى ثم استمر بعد ذلك بين العلماء وقيادات الجماعات الإسلامية في المعتقلات والذي أفرز في النهاية ثمرته بتخلي قيادات الجماعات عن فكر العنف وأصدروا ذلك في المراجعات مما كان له أكبر الأثر في شبه القضاء على عمليات العنف الإرهابية التي كانت تتقصد السياح ورجال الأمن.
- كذلك تم هذا النجاح في المملكة العربية السعودية بعد اللقاءات التي تمت بين العلماء والشباب في داخل السجون مع إعطاء فرصة للتوبة والرجوع يقابلها عفو من الدولة.
- وهو ما تم أيضاً في الجزائر حيث استفاد كثير من الشباب بالعفو الذي أعطاه الرئيس بوتفليقة مما كان له أكبر الأثر في تقلص ظاهرة العنف في الجزائر .

الخلاصة :

مع كل ما توصل إليه العالم اليوم من تقدم مادي وسباق حضاري غير معهود في تاريخ البشرية ، فإن الحاجة تشتد اليوم أكثر من أي وقت مضى لتكاتف وتعاون

القيادات الدينية والفكرية والتي هي في الحقيقة أكبر قوة تستطيع التأثير في مجريات كثير من الأحداث التي تتم تحت غطاء ديني أو سياسي أو فكري .

إن العالم اليوم بحاجة شديدة لرجال الدين المخلصين الذين يستطيعون أن يقودوا العالم نحو واحة السلام عن طريق غرس معاني الحب والعدل والمساواة وحق العيش الكريم بين الجميع.

إن السكوت عن الإرهاب أياً كان مصدره فرداً أو منظمة أو دولة هو مشاركة سلبية وتأييد بالصمت لعمليات القتل والتدمير وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

لم تكن الشعوب بحاجة إلى مفكريها ومصلحيها وقياداتها الدينية كما هي اليوم ، وخاصة علماء الإسلام واليهودية والنصرانية ، لقد قام الكثيرون من علماء المسلمين بإدانة الإرهاب وخاصة الذي تم على أيدي بعض الجهلة من المسلمين ، ومن مقامي هذا أتوجه إلى علماء اليهود باسم نبي الله موسى وباسم التوراة التي جاء بها نوراً من عند الله أن يقوموا بإدانة الإرهاب الذي يتم ضد الفلسطينيين اليوم وإعطائهم حريتهم في العيش الكريم ورَفْع الحصار الغاشم عنهم .

كما أتوجه إلى علماء الدين المسيحي باسم الإنجيل الذي جاء به المسيح عليه السلام تكملة لرسالة موسى وباسم المسيح عليه السلام الذي جاء بالسلام ونشر المحبة أن يكون للكنيسة كلمتها الواضحة القوية ضد الممارسات الإرهابية وخاصة تلك التي تصدر من غير المسلمين، إنني أناشدكم جميعاً باسم كل مظلوم لم يجد من ينصفه باسم كل قطرة دم أريقت بجهل أو بحقد ، باسم كل روح صعدت إلى الله تشكو إلى الله ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، باسم حاضرنا الذي نريد أن ننقذه ومستقبلنا الذي نريد أن ننوره لأبنائنا من نور التسامح لا الحقد ، البناء لا الهدم ، المحبة لا البغضاء ، العدل لا الظلم ، لنعش في الدنيا تحت مظلة قواسمنا المشتركة ، ودعوا ما اختلفنا فيه لله في الآخرة ، يفصل بين عباده بعدله وبرحمته .